علاقة آل سهل بالخلافة العباسية 198-218هـ/813-932م

د. سرى ممتاز عبدالله

كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ

جامعة الموصل

Suramomtaz@uomosul.edu.iq

تاريخ الاستلام : 2020/7/30

تاريخ القبول : 2020/9/7

الملخص:

تناولت الدراسة دور أسرة آل سهل في الدولة العباسية، وهي عائلة فارسية العرق، اتصل أفرادها بالبرامكة، وأعلنوا إسلامهم في خلافة هارون الرشيد (170–193هـ/781–804م)، فتمكن جعفر البرمكي من فسح المجال للفضل بن سهل للتغلغل في الإدارة، وأوصله إلى ولي عهده المأمون، ومن هنا بدأ دورهم، إذ سعوا إلى إيصال المأمون إلى الخلافة، متجاوزاً أخيه الأمين، وتحقيقاً لهذا الهدف كان لهم دور فاعل في الأحداث التي أعقبت وفاة الخليفة هارون الرشيد، ورسموا ملامح المدة التي امتدت من سنة (193هـ–236هـ/781–847م).

الكلمات المفتاحية: الدولة العباسية، الرشيد، الفضل بن سهل، (193–236هـ/ 781–847م)

Al-Sahel's relation ship with Abasad Caliphat

Dr. Sora Mumtaz Abdul-Alla

The College of High Education for Humanity Science

Department of History / University of Mosul

E: Suramomtaz@uomosul.edu.iq

T: 07701642040

Receipt date: 30/7/2020

Date of acceptance: 7/9/2020

Abstract:

The study dealt with the role of the family of the Sahl family in the Abbasid state, which is a Persian family, whose members called the Baramka and declared their Islam in the succession of Harun Al-Rashid (170-193H/781-847M). Jaafar Al-baramki was able to get into the caliphate management by Al-fadel Bin Sahl. So, their real role was started. They succeeded in helping Al-ma'mun secure the throne of the caliphate, surpassing his brother. In order to make their good come true, they had an active role in the events that followed the death of the caliph Harun Al-Rashid and they had painted the features of the period which is extending from the year (193H-236H/781-847M).

Key words: Abbasid state, Al-Rashid, Al-Fadel Bin Sahl, (193H-236H, 781-847 AD)

.

المقدِمة:

اعتمد العباسيون، منذ قيام تنظيمهم وثورتهم على العرقية لأنصارهم، من خلال التحرك على مختلف العناصر المناهضة للسلطة الأموية، ولأسباب مختلفة.

وعلى الرغم من أن قادة التنظيم والثورة، وقاعدته العريضة كان من العرب، غير أن عناصر أخرى انضمت إليها، لاسيما الفرس والأتراك، خاصةً وأن قاعدة الانطلاق كانت من خراسان.

واستمر هذا التنوع في الجيش والإدارة بعد قيام الخلافة العباسية، مما سمح لبعض الأشخاص، لأن يحتلوا مراتب متقدمة ضمن المنظومة الإدارية للخلافة. وأبرز ما يؤشر ذلك بروز الأسرة البرمكية وتدرجها في المراتب منذ عهد الخليفة عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله العباس الملقب أبي العباس السفاح (132–136هـ)، حتى بلغت قمة دورها ونفوذها في عهد هارون الرشيد (149–193هـ).

وأسرة آل سهل امتداد للبرامكة، بل صنيعتهم التي مهدوا لها، بعد اعتناقهم للإسلام، في خلافة الرشيد، ليكون لهم مكانة ودور في الحياة السياسية والإدارية. التي ابتدأت بقيام جعفر بن يحيى البرمكي، بإيصال الفضل بن سهل إلى المأمون، وهو ولي العهد، ليتولى الكتابة.

وفي الوقت الذي مهد البرامكة لآل سهل مكانة البرامكة ودورهم، مستثمرين التطورات السياسية التي استجدت بعد وفاة هارون الرشيد، وإحداث التنافس بين ولاة العهد ، وهم الأمين والمأمون، فكان لهم دوراً بارزاً في حيثياتها التي تمخضت عن إيصال المأمون إلى الخلافة.

وللوقوف على حيثيات ذلك وتفاعلاته، اهتمت الدراسة بتبيان السوابق التاريخية لهذه الأسرة، والدور الذي قامت به، فضلاً عن الأهداف التي سعت إلى تحقيقها، ومن ثم نهايتها. من خلال عدد من المباحث التي توزعت على الدراسة.

المبحث الأول

اعتمد العباسيون منذ قيام تنظيمهم وثورتهم على الأمويين سياسة ارتكزت على توسيع القاعدة العرقية لأنصارهم، من خلال احتواء مختلف العناصر المعارضة والناقمة على السلطة الأموية، لأسباب مختلفة.

وعلى الرغم من أن قادة التنظيم والثورة، فضلاً عن القاعدة العريضة التي كانت من العرب، غير أن عناصر أخرى انضوت إليها، ولاسيما الفرس والأتراك، بخاصة وأن مركز الانطلاق كانت من خراسان.

واعتمد هذا التنوع في الجيش والإدارة، بعد أن أقام العباسيون خلافتهم، ما سمح لبعض العناصر من غير العرب، لأن يحتلوا مراكز متقدمة ضمن المنظومة الإدارية للخلافة، يؤشر ذلك بروز الأسرة البرمكية منذ خلافة أبي العباس السفاح، حتى بلغت قمة مجدها ونفوذها في خلافة هارون الرشيد.

وأسرة آل سهل فارسية الأصل وهم من قرية من السيب الأعلى تعرف بصابر نيتا قرب سرخس (الجهشياري: 1938، ص228) وهي امتداد للأسرة البرمكية، بل صنيعتها إذ بدأ أمرهم أن سهلاً والد الفضل اتصل بسلام بن الفرج مولى يحيى البرمكي أيام الرشيد وأسلم على يديه، إذ مهدوا لهم بعد اعتناقهم للإسلام بعد ان كانوا يدينون المجوسية، في خلافة هارون الرشيد، ليكون لهم مكانة ودور في الحياة السياسية والإدارية، التي ابتدأت بقيام جعفر بن يحيى البرمكي، بالسعي لإيصال الفضل بن سهل إلى عبدالله المأمون، وهو ولي للعهد، ليتولى الكتابة له، وبذلك سهلوا لآل سهل النفاذ إلى السلطة، ثم فسحوا لهم المجال للتفرد بها، بعد انسحابهم منها في خلافة هارون الرشيد.

وقد سمحت التطورات السياسية التي استجدت بعد وفاة هارون الرشيد، لأن يرسخ آل سهل نفوذهم، مستثمرين أحداث التنافس والصراع بين ولاة العهد (الأمين، والمأمون) فكان لهم دوراً فارقاً في حيثيات الأحداث التي تمخضت عن إيصال المأمون إلى عرش الخلافة.

ولأهمية دور هذه الأسرة في مرحلة مفصلية في التاريخ العباسي، اهتمت الدراسة بتسليط الضوء على سوابق الأسرة التاريخية، ودورها ومؤثراتها، فضلاً عن الأهداف التي سعت إلى تحقيقها، ومن ثم نهايتها، من خلال عدد من المباحث التي توزعت على امتداد الدراسة، وذلك من خلال المصادر المعاصرة والقريبة من الأحداث.

المبحث الثاني

تمثلت البدايات الأولى لأسرة آل سهل، من خلال العلاقة بين الفضل بن سهل ويحيى البرمكي، إذ حظيّ الفضل بمكانة مرموقة لدى البرمكي، بعد أن لفت انتباهه إلى ما يتمتع به من مؤهلات ثقافية، منذ أن نقل له كتاباً من الفارسية إلى العربية، فنال الحظوة لديه، فيما دفعه لأن يعرض عليه اعتناق الإسلام بقوله ((أسلم حتى أجد السبيل إلى إدخالك في أمورنا والإحسان إليك)) ففعل (الجهشياري: 1938، ص230 ؛ فوزي: 1985، ص152) في هذا الوقت المتأخر لغاية وهدف (البغدادي: 1997، 319/7 ؛ ابن تغري بردي: 1970، 172/2–173)، يؤشر ذلك جواب الفضل بن سهل، لبختشيوع الطبيب، وقد وجده يقرأ القرآن الكريم. ((كيف وجدت كتاب الله؟ فقال: مثل كليلة ودمنة)).

أياً كان الأمر، فقد مهد له إسلامه السبل للوصول إلى الخليفة، إذ ذكره يحيى البرمكي لدى الخليفة هارون الرشيد، مادحاً إياه ومواهبه، ما جعل الخليفة يستدعيه لاختبار ما ذكر عنه (الجهشياري: 1938، ص229)، ويبدو أنه أعجب بحديثه ومقاله، بعد أن أعيته رهبة الخليفة من الحديث إلى أن قال: ((يا أمير المؤمنين، إن أعدل الشواهد على فراهة الملوك، أن تملك قلبه هيبة سيده، فقال له الرشيد: إن كنت سكت لتصوغ هذا الكلام. لقد أحسنت، ولئن كانت بديهة لهو أحسن وأحسن)) (ابن تغري بردي: 1940، 172/2)، وهذا ما شجع الخليفة لأن يخص به ولده المأمون، إذ رسم بتعيينه متولياً لأموره فيما بعد وذلك سنة (190هـ/806م) (ابن الطقطقا: 1960، ص179).

سخر الفضل بن سهل مؤهلاته ليملأ الفراغ الذي تركه البرامكة بعد إقصائهم سنة (187هـ/802م) (الطبري: 1965، 319/8 ؛ فوزي: 1977، ص180)، وتحقيق هدفهم في إيصال المأمون إلى عرش الخلافة متجاوزاً أخاه الأمين، ولي العهد الأول. إذ لازم المأمون كظله حتى نال ثقته والتزم رأيه، في تحديد موقفه فيما استجد من أحداث، إذ عزم الخليفة هارون الرشيد إلى أن يكون على رأس الجيش المتوجه للقضاء على حركة رافع بن الليث في خراسان (الطبري: 1965، 338/8 ؛ أبن الأثير: 1965، 127/5)، على أن يخلف المأمون في بغداد، غير أن الفضل بن سهل أقنع المأمون بضرورة مرافقة أبيه في هذه السفرة بقوله: ((لست تدرس ما يحدث للرشيد، وهو خارج إلى خراسان، وهو ولايتك، ومحمد المقدم عليك، وأن أحسن ما يصنع بك يخلعك، وهو ابن زبيدة وأخواله بنو هاشم، فأطلب إليه أن يشخصك معه، فسأله الأذن فأبى عليه، فقال الفضل بن سهل للمأمون قل له أنت عليل، وإنما أردت أن أخدمك، ولست أكلفك شيئاً، فأذن له)) (الطبري: 1965، 338/8 ؛ أبن الأثير: 1965، 127/5).

لا شك في أن إصرار الفضل بن سهل على مرافقة المأمون لأبيه تؤشر مقاصد مبيتة وقناعة بأن الخليفة الرشيد لن يعود إلى عاصمة ملكه، لسبب لا تعين المصادر على إثباته، وإن كانت الوقائع اللاحقة تؤكد ذلك.

خرج الرشيد بصحبة المأمون من بغداد سنة (193هـ/ 809م)، مستخلفاً عليها ابنه محمد (الأمين) (الطبري: 1965، 338–341)، وقد استثمر الفضل بن سهل انفراد المأمون بأبيه بعيداً عن التيار المساند للأمين في بغداد، واقنع الرشيد بتجديد

البيعة للمأمون من قبل قادة الجيش المرافقين له، وأن يوصي بكل ما في عسكره للمأمون لو حدث به حادث، وحدث الحادث بوفاة الرشيد في طوس في السنة نفسها، تاركاً المأمون في مرو (الطبري: 1965، 338-341)، والأمين في بغداد (ابن الأثير: 1965، 132/5).

لا يقر المنطق إن ما جرى بمراميه البعيدة كان مصادفةً أو حدساً إنما مؤامرة حاك خيوطها صنيعة البرامكة، دفع الرشيد حياته ثمناً لها، عتمت عليها المصادر لغلبة المأمون.

أطلقت وفاة الرشيد يد الفضل بن سهل في تنفيذ مشروعه، إذ انقسم الجيش إلى قسمين، أحدهما يقوده الفضل بن الربيع الذي آثر الرجوع إلى بغداد حيث الخليفة الأمين (ابن الأثير: 1965، 132/5)، وهمّ المأمون اللحاق بهم غير أن الفضل بن سهل حذره من ذلك بقوله: ((إن فعلت هذا لا أمن أن يقبضوا عليك ويجعلوك هديةً إلى محمد (الأمين) (الطبري: 1965، 342/8)، وأشار عليه أن يكتب إلى القافلين مذكراً إياهم بأمر البيعة وتحذيرهم الغدر، إلاّ أن ذلك لم يجدِ نفعاً فكان جواب الفضل بن سهل، (هؤلاء أعداء قد استرحت، منهم وبعدوا عنك، وأخذ يذكره بما مر على الدولة من مخاطر، وكيف كانت تضطرب، حتى قال له: ((فكيف بك وأنت نازل من أخوالك وبيعتك في أعناقهم، كيف يكون اضطراب أهل بغداد، أصبر قليلاً، أنا أضمن لك الخلافة)) (الطبري: 1965، 342/8؛ نوري: 2001، ص41).

وبذلك أسفر الفضل بن سهل عن مقاصد قديمة مبيتة، بدأها البرامكة، وتولى إكمالها خروجاً على إرادة الرشيد ووصيته، وتحقيقاً لمآربهم، والخطوة الأولى الانفراد بالمأمون بعيداً عن بغداد، حيث الخليفة الأمين، وفق الوصية، والتيار المساند له (الطبري: 1965، 345/8-355)، وهذا ما وافق هوى المأمون الذي أقره على مسعاه (الطبري: 1965، 345/8-355).

ومن هنا بدأ بحشد المؤيدين لمشروعه، وذلك بكسب تأييد قادة الجيش من خلال إغرائهم بالأموال والامتيازات على الرغم من رفض بعضهم التدخل بين أمير المؤمنين وأخيه (الجهشياري: 1932، ص278)، من جهةٍ أخرى، أشار على المأمون التقرب من الفقهاء، وأن يجلس للمظالم، وأن يعفي أهل خراسان من ربع الخراج (النويري: 1967، 169/22 ؛ الحضرمي: 1979، 290/3)، وفي مسعى لحشد المؤيدين والرأي العام حول المأمون لنوايا قادمة يخطط لها الفضل بن سهل وأخوه الحسن وهما يعمقان الخلاف بين المأمون وأخيه الأمين، وهم يمنوه بالخلافة ويحرضونه على عدم الاستجابة لطلبات الخلافة، إذ طلب الخليفة الأمين من أخيه المأمون التخلي عن بعض كورخراسان، ليوليها العمال من قبله (الطبري: 1965، 378/8)، فأشار الفضل بعرض الأمر على شيعته وأهل بيته، الذين مالوا إلى إجابة طلب الخليفة (ابن الأثير: 1965، 139/5)، سوى الفضل والحسن أبناء سهل، اللذان أقنعاه بأن هذه بداية ستجر إلى تجريده من مقومات قوته ومن ثم الانقلاب عليه (الجهشياري، 1938، ص289).

وأفلحت مساعيهما بإيصال العلاقة بين الأخوين إلى حد القطيعة، ما دفع الخليفة الأمين إلى عزل المأمون عن ولاية العهد، وعهد بها لأبنه موسى، ولقبه الناطق بالحق (الأزدي: 1967، ص319 ؛ فوزي: 1983، ص109).

وعلى الرغم من أنه إجراء فارق اتخذه الخليفة، إلاّ أنه حقق لآل سهل عديد المقاصد، منها أن المأمون لم يعد له سوى مرو ومحيطها، فضلاً عن أنه لم يبقى سوى المواجهة العسكرية التي دفعها آل سهل الأمور لتحقيقها وصولاً على الخلافة، فبدأ العمل لتحقيق ذلك، باذلين الجهد في إقناع المأمون بشن الحرب على شرعية أخيه الخليفة، ضامناً له الخلافة (الطبري: 1965، 299/8). إذ لم يعد من خيار لدى المأمون.

أخذ الفضل بن سهل زمام المبادرة بتحشيد الجيش، وعهد بقيادته إلى طاهر بن الحسين (ابن الأثير: 1965، 143/5)، وكذلك فعل الخليفة بتجهيز الجيش في المقابل تولى قيادته على بن عيسى بن ماهان، وهو أحد كبار الولاة والقادة في العصر العباسي

أيام الخليفة هارون الرشيد وابنه الأمين (ابن الأثير: 1965، 143/5)، ولعديد الأسباب التي تفصلت بذكرها الدراسات، مُنيّ جيش الخلافة بالهزيمة وقتل قائده (المسعودي: 2008، 390/3)، وما أن وصلت رسالة طاهر إلى الفضل يهنئه بالنصر، حتى سارع لزف البشرى للمأمون، وبايعه بالخلافة، وتبعه أهل بيته والقادة ووجوه الناس (الطبري: 1965، 354/8)، وبهذا الإجراء أصبح للعالم الإسلامي خليفتان، أحدهما في بغداد، والآخر في مرو، وذلك ما كان يصبو إليه آل سهل، ومن قبلهم البرامكة.

شجع هذا الانتصار طاهر بن الحسين بالاندفاع نحو العاصمة بغداد حيث الخليفة، وضرب عليها الحصار سنة 197هـ/812م، وبالغ في حرقها، وهدم معالمها، وفرض الحصار الاقتصادي على أهلها الذين استماتوا في الدفاع عنها (الطبري: 1965، 447/8؛ ابن الوردي: 1996، 316/1 ؛ ابن كثير: 2006، 238/1–240)، حتى قيل في ما آلت إليه أمورها:

بكيت دماً على بغداد لما فقدت غضارة العيش الأنيق

تبدو لنا هموماً من سرور ومن سعة تبدلت بضيقٍ

فقوم أحرقوا بالنار قسراً ونائحةً تنوح على غريق

(الطبري: 1965، 447/8)

وأسفر القتال عن قتل الخليفة محمد الأمين سنة (198هـ/813م)، وحُمل رأسه إلى أخيه في مرو (الطبري، 1965، 507/8 ؛ ابن كثير: 2006، 240/10 ؛ الكتبي: 1974، 47/4)، وسارع الفضل لتحاشي ردة فعل المأمون بقوله له: ((الحمد لله يا أمير المؤمنين على هذه النعمة الجليلة، فإن محمداً كان يتمنى أن يراك حيث رأيته)) (المسعودي: 2008، 422/3–423)، إلاّ أن ما أوغر قلب المأمون أنهم خالفوا أوامره، التي وجهت بالإتيان بالأمين أسيراً وليس عقيراً (الطبري: 1965، 406/8)، فاستدرك الفضل بتدارك ذلك بقوله: ((يا أمير المؤمنين، إنه قد كان ما كان فاحتل لنا العذر)) (العمراني: 1972، ص94–95)، ولأنه استشعر فداحة الأمر، حاول أن ينأى بنفسه ليلقي تبعية ذلك على طاهر بن الحسين بقوله: ((ما فعل بنا طاهر سلَّ علينا سيوف الناس وألسنتهم، أمرناه أن يبعث به أسيراً، فبعث به عقيراً)) (الطبري: 1965، 406/8 ؛ نوري: 1991، ص930)، وبذلك استهدف ضرب طاهر بن الحسين الذي تألق نجمه بعد هذه الانتصارات، وسيطر على العراق.

المبحث الثالث

كان من الطبيعي بعد هذا المخاض المؤلم أن يتصدر أمور الخليفة والخلافة، اعترافاً بدوره في تمكين المأمون من سلطانه (البغدادي: 1997، 340/12 ؛ ابن تغري بردي: 1970، 151/2)، فاتخذه المأمون وزيراً (البغدادي: 1997، 340/12)، ووسمه (بذي الرئاستين). أي: رئاسة السيف والقلم (البغدادي: 1997، 340/12). أي: أمور الخلافة برمتها، وهو أول من تلقب من الوزراء على رأي (الجهشياري: 1938، ص305)، فضلاً عن تلقيبه بالأمير، مؤشراً مكانته من العائلة الحاكمة، فأصبح يسمى الوزير الأمير، فجمع بذلك بين اللقب والتأمير (الجهشياري: 1938، 306 ؛ ابن طباطبا، 1960، ص179)، وبذلك أطلق المأمون صلاحيته كأسلافه من البرامكة.

انفرد الفضل بن سهل، استناداً لما منحه الخليفة من صلاحيات بتدبير الأمور، وضرب أسمه ولقبه على النقود في الأقاليم الشرقية (الجهيشاوي: 1938 ص305 ؛ فوزي: 1985: ص155) ، ومماثله أخاه الحسن الذي ظهر اسمه على النقود منذ سنة (200هـ/815م)، بعد أن عين والياً على العراق، وظهر أسمه على النقود في بلاد الشام ومصر (الجهيشاوي: 1938 ص305 ؛ فوزي: 1985، ص155)، فضلاً عن أنه تولى رسم سياسة الخلافة خارجياً وداخلياً. إذ أقر سياسة التعامل مع ملوك وأمراء بلاد ما وراء النهر (الجهشياري: 1938، ص305)، وعقد اتفاقيات الصلح معهم موسومة باسمه (ابن الأثير: 1965، 140/5 ؛ ابن خلدون: 1979، 290/3).

وأكثر القضايا جدلاً بين المؤرخين ما نُسب إلى الفضل بن سهل من أنه أقنع المأمون بإسناد ولاية العهد للإمام الرضا (عليه السلام)، بمعنى نقل الخلافة من العباسيين إلى العلويين، وتتأرجح الآراء في دوافع ذلك، فمنهم من يرجع مسوغات ذلك إلى ميل الخليفة المأمون وهواه في العلويين، فوجد في الإمام علي الرضا (عليه السلام) خير من يخلفه؛ إذ لا مثيل له في العلم في البيتين العباسي والعلوي (الطبري: 1965، 544/8 ؛ ابن الطقطقا: 1960، ص217)، فاستقدمه من المدينة إلى خراسان، وعلى الرغم من رفضه، إلاّ أنه ألزمه بها (الطبري: 1965، 565/8–566)، وتوثيقاً للعلاقة صاهره (الطبري: 1965، 565/8–566)، ويذهب آخرون إلى أن الأمر تمّ بتوجيه الفضل بن سهل وبتأثير منه، مستهدفاً إبقاء الخلافة في مرو؛ لأن الأسرة العباسية في بغداد، فضلاً عن أهلها وقواها العسكرية لا تتقبل ذلك (الطبري: 1965، 567/8)، وإلى ذلك ذهب (الجهشياري: 1938: ص303) بقوله: ((إن الفضل بن سهل هو الذي حسّن للمأمون أن يجعل علي بن موسى الرضا ولي عهد المسلمين والخلافة من بعده))، ويعضد ذلك (ابن الطقطقا: 1960، ص217).

أياً يكن الأمر، فقد كان لهذه السياسة التي أثمرت بنقل الخلافة من العباسيين إلى العلويين واستبدال شعارهم من السواد إلى اللون الأخضر شعار العلويين، فضلاً عن تنازل بغداد عن مكانتها كحاضرة للخلافة لصالح مرو، تداعيات بخاصة على مكونات بغداد، بدءاً بالأسرة العباسية، فضلاً عن القوة العسكرية، مروراً بعامتها الذين عصفت سياسة المأمون بمكانتهم وامتيازاتهم لذلك لم تتوقف ردود فعلهم بالرفض، بل بلغوا حد خلع المأمون من الخلافة، وتولية إبراهيم ابن المهدي، خليفة في بغداد (ابن الطقطقا: 1960، ص217).

كان من أولويات آل سهل التي حرصوا عليها هو إبقاء المأمون في مرو في دائرة ضيقة من الموالين لهم، ولاسيما من قادة الجيش، وإبعاد العناصر العربية في مهمات خارجية (الطبري: 1965، 568/8)، لذلك حجبوا عن الخليفة المأمون كل التداعيات في أقاليم الخلافة لاسيما بغداد، وعتموا على أحداثها (الطبري: 1965، 568/8).

استناداً لذلك، لم يدرك الخليفة المأمون مغزى أن يطالبه بعضهم، بأن ينظر إلى العرب كما نظر إلى الفرس، في خراسان، متهماً في جوابه معظم القبائل العربية بالعداء له، وبالسخط عليه (ابن الأثير، 1965، 144/5).

وحين بلغت الأمور حد الافتراق، استطاع البعض كسر الطوق المفروض على الخليفة، ومنهم ولي العهد الإمام الرضا (عليه السلام)، ليضعوا الخليفة بصورة ما يجري خارج حاضرته، وأن بغداد خلعته، واختارت للخلافة بديلاً عنه (الطبري: 1965، 571/8)، فكان قرار العودة إلى بغداد، وذلك سنة (202هـ/817م) (الطبري: 1965، 571/8).

لم يكن بإمكان المأمون العودة إلى بغداد بكل المسوغات، التي شكلت النقمة عليه من أهل بغداد خاصتها وعامتها، وكان طريق العودة كفيل بأن يحلل المأمون من موجبات السخط عليه، بفعل القدر، أو بفعل فاعل، إذ توفي ولي العهد الإمام علي الرضا (عليه السلام) (الطبري: 1965، 571/8 ؛ ابن الأثير: 1965، 145/5)، وحرص المأمون على أن ينأى بنفسه عن أية شبهة قد تدخله في دائرة المسؤولية بعد أن أشهد معه بأن الوفاة طبيعية (الطبري: 1965، 571/8 ؛ ابن الأثير: 1965،

145/5)، وفي شهر شعبان من السنة (202هـ/ 817م) ، قتل الوزير الفضل بن سهل على يد غلمانه (اليعقوبي: 1960، 452/2)، وهم غالب المسعودي، وقسطنطين الرومي، وفرج الديلمي، وموفق الصقلبي (اليعقوبي: 1960، 452/2)، وغابت موجبات قتله، بعد أن أمر المأمون بمعاقبتهم بالقتل، ولم يشفع لهم ادعاؤهم بأنهم كانوا مأمورين (الطبري: 1965، 565/10)، دفعاً لكل الشبهات، وأرسل برؤوسهم إلى الحسن بن سهل، معبراً له عن مصابه بقتل الفضل بن سهل، وأحل محل أخيه في الوزارة (الطبري: 1965، 566/10) ومسترضياً أم الفضل بمصابها بما عوض عليها بأخيه الحسن (اليعقوبي: 1960، 454/2)، وعاد إلى ارتداء السواد شعار أسلافه (الطبري: 1965، 566/10)، وبذلك دخل بغداد متحللاً سواء من جريرة مقتل أخيه، لذلك حرص على عدم إثارة أسرته، فعفا عن عمه إبراهيم بن المهدي المتصدر للخلافة (الطبري: 1965، 566/10)، وكل الذين تولوا إدارة الأمور من الخاصة والعامة في فترة غيابه عن بغداد (الطبري:، 567/10).

المبحث الرابع

لم ينه مقتل الفضل حالة التواصل مع آل سهل بعد أن حلّ أخاه الحسن محله، وعلى وما يبدو أن المأمون لم يتعجل وضع حد النهاية والخلاص منهم، كما فعل أباه الرشيد بالبرامكة لاعتبارات، منها: إنه لا زال حديث عهد في ولايته، فتجنب إثارة الموالين لآل السهل الذين شكلوهم طيلة السنوات المنصرمة، لاسيما في مشرق الدولة، حيث مناطق نفوذهم، لذلك أجل ذلك إلى حين ما سوف تنبأ عنه الأحداث مستقبلاً، ويسفر أهل بغداد عن مواقفهم من خلافتهم الجديدة، فضلاً عن ذلك، فإن الحسن بن سهل هو من تولى قيادة الجيش الذي غزا بغداد، ووضع حداً لخلافة الأمين، ما يعني ولاء القادة والجند له، فتحاشى المأمون إثارتهم في هذا الوقت المبكر من استقراره في بغداد.

استناداً لذلك، اصطفى المأمون الحسن بن سهل، وقربه وخصه بالتكريم والزواج من ابنته بوران سنة (210هـ/825م) في مراسيم تاريخية غالى بوصفها الرواة (المسعودي: 2008، ص304).

وفسح المأمون للحسن بأن يأخذ مكان أخيه، فاتخذه جليساً ومستشاراً (المسعودي: 2008، ص304)، وعهد إليه بولايات جميع البلدان التي كان يتولاها طاهر بن الحسين في فارس والأحواز والعراق والحجاز واليمن وكور الجبال (المسعودي: 2008، ص304).

وعلى الرغم من المكانة والحظوة التي اختص بها الحسن بن سهل، إلاّ انه استشعر الخوف، وسيطر عليه هاجس أن تكون نهايته كأخيه، وقد بقي وحيداً وبعيداً عن منطقة نفوذه، وأصبح تحت أنظار الخليفة وآل بيته في بغداد، ويؤشر ذلك جوابه للخليفة المأمون حين سأله، عما كان له حاجة فأجابه: ((نعم يا أمير المؤمنين تحفظ عليّ من قلبك ما لا استطيع حفظه إلاّ بك)) (الطبري: 1965، 566/10).

لذلك لم يستطيع الاستمرار الذي أقعده المرض وغيبه عن عمله ومصاحبته الخليفة، حتى أصبح كتابه ينوبون عنه في أمور الوزارة، أمثال أحمد بن أبي خالد، وأحمد بن يوسف (الطبري: 1965، 566/10)، وبذلك غاب عن الأحداث حتى غيبه الموت سنة (236هـ/850م)، وبذلك أنهى حقبة تاريخية كان لعائلته دوراً فاعلاً في رسم ملامحها وأحداثها.

استوزر الخليفة أحمد بن أبي خالد خلفاً للحسن بن سهل وكاتبه (المسعودي: 2008، ص304)، الذي استجاب لرغبة الخليفة على أن يتولى أمور الوزارة دون أن يتسمى بها، إذ قال: ((يا أمير المؤمنين أعفني من التسمي بالوزارة، وطالبتني بالواجب فيها، واجعل بيني وبين الغاية ما يرجوني له ولي، ويخافني له عدوي، فما بعد الغايات إلاّ الأماني، فاستحسن كلامه، وقال: لا بد من ذلك، واستوزره)) (المسعودي: 2008، ص304).

لا شك من أن هذه الخشية من التسمي بالوزارة تؤشر خشية البعض من أن يؤول مصيرهم، إلى ما آل إليه أسلافهم، وأضحت الوزارة محطة نحو النهاية، أو المصير المجهول، فضلاً عن ذلك، فقد استشعر المقربون من الخليفة أن استوعب التجربة من آل سهل حينما فوض لهم الأمور، فسيطر عليه الهاجس ما جعله يراقب وزراءه، ويترقبهم، ما جعلهم يخشون غضبته ومصيرها (ابن الأثير: 1965، 152/5).

الخاتمة

مما تقدم، نلحظ أن آل سهل (الفضل والحسن) قد كرروا ذات الأخطاء نفسها التي ارتكبها أسلافهم البرامكة، بعد أن أتاحت لهم الظروف المشابهة، لأن يلعبوا دور صنّاع الملوك، ويسعون من خلال ما منحوا من نفوذ وصلاحيات من تمرير أهدافهم ومقاصدهم على حساب الخلافة ومؤسساتها، فضلاً عن هوى الأمة وتوجهاتها. إذ مثلوا امتداداً لمقاصد البرامكة الذين لم يمهلهم الوقت لتنفيذها، فهم صنيعتهم التي خلفوها في كيان الدولة، يؤشر ذلك قول يحيى البرمكي في أيامه الأخيرة لعائلته: ((خلفت فيكم الفضل بن سهل)) (ابن الأثير: 1965، 152/5). استناداً لذلك، كان أولى مهامهم إيصال عبدالله المأمون إلى الخلافة خروجاً على وصية الرشيد في أن يخلف أخاه محمد الأمين عليها، فأخذه بعيداً إلى خراسان ليخلو به ولينأوا بأنفسهم ومخططاتهم عن مراقبة الخليفة وأسرته، وحرضوه على مختلفة الخليفة، والدخول معه في صراع مميت أسفر عن مقتل الخليفة وخراب عاصمته. وحسّنوا لهم المقام في مرو بعد أن أعلنوه خليفة، محجوراً عليه بينهم والموالين لهم، وممسكين بزمام الدولة (الفضل في المشرق والحسن في العراق). في مسعى لإحداث تغييرات في بنية الدولة، بدءاً بالخلافة والوزارة والجيش.

وقد حرص آل سهل وهم يرسمون ملامح نظام جديد أن يقصوا كل التيارات التي خالفت توجهاتهم، ولاسيما قادة الجيش، وأن يحجبوا عن الخليفة كل التداعيات التي استجدت، رافضة سياستهم، حتى بعد أن انتفضت بغداد، واختارت خليفة بديلاً عن المأمون.

وعندما بلغ الأمر مداه، ووصلت الخلافة والدولة حد مفترق الطرق، استطاع بعضهم من تجاوز حاجر آل سهل، وأبلغوا الخليفة المأمون، بخبايا الأمور، حينها لم يقرر العودة إلى بغداد، فحسب بزمام الأمور، لإصلاح ما أفسده آل سهل.

إلاّ أن ردة فعل المأمون كانت بمستوى ما عرف عنه من حكمة، إذ لم يشأ الدخول معهم في مواجهة غير محسوبة، متبعاً سياسة تدريجية في الخلاص منهم (الطبري: 1965، 567/10).

وعلى الرغم من أنه أحلّ الحسن بن سهل محل أخيه الفضل الذي تخلص منه في طريق العودة، إبعاداً لأية شبهة وتأجيل الدخول في صراع مع الموالين لهم، غير أن الحسن على الرغم من كل ما خصه المأمون، كان مدركاً بأن مصيره كأخيه، فسيطر عليه هاجس الخوف حتى مات كمداً، مسدلاً الستار عن عائلته ودورها في حقبة مفصلية من التاريخ.

المصادر والمراجع

1. الجهشياري: أبو عبدالله مصطفى بن عبدوس: الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وآخرين (القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، 1938).
2. فوزي: فاروق عمر: الجذور التاريخية للوزارة العباسية (بغداد، مكتبة النهضة) 1985.
3. البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب: تاريخ بغداد، دراسة وتحقيق مصطفى عبدالقادر عطا (بيروت، دار الكتب العلمية، 1997).

4. ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، 1970).
5. ابن الطقطقا: محمد بن علي طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية (بيروت، دار صادر، 1960).
6. الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك (القاهرة، دار المعارف، 1965)، 319/8؛
فوزي: الخلافة العباسية عصر القوة والازدهار (بغداد، مكتبة المثنى، 1977).
7. ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم: الكامل في التاريخ (بيروت، دار صادر، 1965).
8. نوري: عبدالمنعم رشاد وموفق سالم: الأمين الخليفة المفترى عليه (بغداد، دار الشؤون الثقافية،2001).
9. النويري: شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب (القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، 1967).
10. ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد الحضرمي: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المسمى بتاريخ ابن خلدون (بيروت، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، 1979).
11. الأزدي: أبو زكريا يزيد بن ياس بن القاسم: تاريخ الموصل، تحقيق علي حبيبة (القاهرة، دار إحياء التراث الإسلامي، 1967).
12. فوزي: الفضل بن سهل وزير المأمون نموذج للتخريب الفارسي (مجلة آفاق، العدد الأول، السنة الثامنة، أيلول 1983).
13. المسعودي: أبو الحسن علي بن حسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، أعتنى به وراجعه كمال حسني مرعي (بيروت، المكتبة المصيرية، 2008).
14. ابن الوردي: أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر: تتمة المختصر في أخبار البشر المسمى تاريخ ابن الوردي (بيروت، دار الكتب العلمية، 1996).
15. ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل: البداية والنهاية، تحقيق جودت محمد جودة (القاهرة، دار ابن الهيثم، 2006).
16. الكتبي: محمد شاكر: فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس (بيروت، دار الثقافة، 1974).
17. العمراني: محمد بن علي بن محمد: الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائي (ليون، المعهد الهولندي، 1972).
18. نوري: موفق سالم: الأحوال العامة في بغداد في فترة إقامة المأمون من مرو (مجلة المؤرخ العربي، العدد 44، السنة السادسة عشر، 1991م).
19. اليعقوبي: أحمد بن يعقوب بن جعفر وهب: تاريخ اليعقوبي (بيروت، دار صادر، 1960).

Sources and references

1- Al-Jahshiari: Abu Abdullah Mustafa bin Abdos: Ministers and Writers, edited by Mustafa Al-Sakka and others (Cairo, Al-Babi Al-Halabi Press, 1938).
2- Fawzi: Farouk Omar: The Historical Roots of the Abbasid Ministry (Baghdad, Al-Nahda Library) 1985.
3- Al-Baghdadi: Abu Bakr Ahmed bin Ali Al-Khatib: The History of Baghdad, Study and Investigation of Mustafa Abdel-Qader Atta (Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1997).

4- Ibn Taghri Bardi: Jamal al-Din Abu al-Mahasin: The Prosperous Stars in the Kings of Egypt and Cairo (Cairo, The Egyptian General Establishment, 1970).

5- Ibn Al-Taqqa: Muhammad bin Ali Tabataba: The Honorary of the Sultanate Literatures and Islamic Countries (Beirut, Dar Sader, 1960).

6- Al-Tabari: Abu Jaafar Muhammad Ibn Jarir: History of the Messengers and Kings (Cairo, Dar Al-Maarif, 1965), 8/319؛

Fawzi: The Abbasid Caliphate: An Age of Power and Prosperity (Baghdad, Al-Muthanna Library, 1977).

7- Ibn al-Atheer: Izz al-Din Abu al-Hasan Ali bin Abi al-Karam: The Complete History (Beirut, Dar Sader, 1965).

8- Nuri: Abdel Moneim Rashad and Mowafak Salem: the trustworthy caliph who is slandered (Baghdad, Cultural Affairs House, 2001).

9- Al-Nuwairi: Shihab El-Din Ahmed bin Abdel-Wahab: The End of God in the Arts of Literature (Cairo, The Egyptian General Organization for Authorship, Printing and Publishing, 1967).

10- Ibn Khaldun: Abd al-Rahman bin Muhammad al-Hadhrami: The Lesson and the Divan of the Beginner and the News in the Days of the Arabs, Ajam, and Berbers and their Contemporaries from the family of the greatest authority named in the History of Ibn Khaldun (Beirut, Jamal Foundation for Printing and Publishing, 1979).

11- Al-Azdi: Abu Zakaria Yazid bin Yas bin Al-Qasim: The History of Mosul, edited by Ali Habiba (Cairo, Dar The Revival of Islamic Heritage, 1967).

12- Fawzi: Al-Fadl Bin Sahl, Minister of Al-Ma'mun, is a model of Persian sabotage (Afaq Magazine, Issue 1, Year Eight, September 1983).

13- Al-Masoudi: Abu Al-Hassan Ali bin Hussein: The promoter of gold and the minerals of the essence, looked after and revised by Kamal Hosni Marei (Beirut, The Egyptian Library, 2008).

14- Ibn al-Wardi: Abu Hafs Zain al-Din Umar ibn Muzaffar: The continuation of the summary in Akhbar al-Bishn called History Ibn al-Wardi (Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1996).

15- Ibn Kathir: Imad al-Din Abu al-Fida Ismail: The Beginning and the End, edited by Jawdat Muhammad Judeh (Cairo, Dar Ibn al-Haytham, 2006).

16- Al-Kitbi: Muhammad Shaker: The Fatality of Death, the investigation of Ihsan Abbas (Beirut, Dar Al-Thaqafa, 1974).

17- Al-Amrani: Muhammad bin Ali bin Muhammad: al-Anbaa in the history of the caliphs, edited by Qasim al-Samarrai (Lyon, NIASD, 1972).

18- Nuri: Mowafak Salem: General conditions in Baghdad during the residency of al-Ma'mun from Marw (Journal of the Arab Historian, Issue 44, Sixteenth Year, 1991 AD)

19- Al-Yaqoubi: Ahmad Ibn Ya`qub Ibn Ja`far Wahb: The History of Al-Ya`qubi (Beirut, Dar Sader, 1960).